

المتن

القاعدة الثالثة من قواعد صفات الله تعالى
صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية

الشرح

قال بعض الناس إن الأولى أن نُعبر بـ "ثبوتية ومنفية" لأن التي وصف الله بها نفسه إما مثبتة وإما منفية. ولكن الصواب أنه لافرق، لأن السلب والنفي معناهما واحد، فإذا قلت: فلان لم يقم. فالمعنى أنه مسلوب عنه القيام، أي منفي عنه، ولا إشكال في ذلك.

المتن

فالثبوتية: ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك. فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل.

* أما السمع: فمنه قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا" [النساء: 136].

فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته. والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله. وكون محمد صلى الله عليه وسلم رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مُرْسِلِهِ، وهو الله - عز وجل.

* وأما العقل: فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتي حين يكون الخبر صادراً من يجوز عليه الجهل، أو الكذب، أو العي بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله - عز وجل - فوجب قبول خبره على ما أخبر به.

الشرح

* أما دلالة السمع على وجوب ما أخبر الله به عن نفسه؛ في كتابه؛ أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم - فواضحة، لأن الله أنزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم - فالإيمان بالكتاب إيمانٌ بمن أنزله. والإيمان بالرسول إيمانٌ بما أرسله؛ فلا جرم أن يجب الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته.

* أما دلالة العقل على ذلك: أن الله أخبر بهذه الصفات عن نفسه - لأننا لا نثبت من الصفات إلا ما أخبر به الله عن نفسه - وهو أعلم بنفسه من غيره، ولهذا أيُّ إنسان يُحاول إنكار صفة من صفات الله نقول له: هل أخبر الله بها عن نفسه؟ فإن قال: لا،

فقد كُذِّب ، وإن قال: نعم . قلنا له :أأنت أعلم أم الله؟! إن قال:أنا أعلم ؛ فقد كفر وإن قال:الله أعلم . قلنا: إذن يجب عليك أن تؤمن بها، لأن الله تعالى أعلم بنفسه وأصدق قبلاً.

فما أخبر الله به عن نفسه فهو صدق ؛ لأن كلام الله أصدق الكلام وأحسن حديثاً من غيره. وحسن الحديث يكون بالبلاغة والفصاحة. فكلام الله عزوجل - أحسن الكلام في وضوحه وبيانه وفصاحته.

فقد اجتمع في حق الله تعالى كمال الكمال من كل وجه ، من حيث العلم والصدق والبيان ، ولهذا يقول المؤلف: " فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العي " (أ.هـ)

فالجهل ضده العلم، والكذب وضده الصدق ، والعي ضده البيان والفصاحة.

فلو جاء رجلٌ نجارٌ إلى مريض فوضع يده على بطنه ، ويلمس صدره ، وجهته ورأسه و ضغط عليها ؛ ثم قال : هذا المريض فيه الداء الفلاني.

فإننا لا نصدق؛ لأنه جاهل بهذه الصناعة، لكنه لو قال: هذا الخشب لا يصلح أن نجعله أبواباً ؛ لقبنا قوله إذا كان صدوقاً. قد يكون كذوباً قد يقول ما يصلح أبواباً علشان يشتريه هو ، على كل حال هذا الرجل الذي جاء يُشخص مرض هذا المريض وهو نجار لا تقبله مهما كان في الصدق لأنه جاهل.

ولو جاءنا رجلٌ طبيبٌ جيد ماهر، وجعل يتحسس المريض ليرى ما به من داء ، ثم قال: هذا يحتاج إلى علاج طويل يتكلف عليكم خمسين ألفاً، فلو كان هذا الطبيب - الرجل جيد في الصناعة وماهر في الطب لكنه غير موثوق فيه من جهة الخبر ؛ لكان من الممكن أن يكون قد ابتغى بقوله هذا كثرة الدراهم ؛ لإبراء المريض.

ولوجاءنا رجلٌ ثالث ، عالمٌ وصدوقٌ لكنه هندي لا نفهم كلامه؛ لأننا عرب ، وشخصُ المرض وأخبر به ، لما فهمنا منه شيئاً ؛ وإذا لن نثق بما قال ، لأن كلامه يفتقر إلى الفصاحة والبيان.

وإذا تأملنا بعد ذلك - كلام الله عزوجل عن نفسه وعن غيره، لوجدناه كلاماً صادراً عن علمٍ لاشك ، وعن صدقٍ ولاشك ، وفي أحسن ما يكون من البلاغة والفصاحة والبيان ولاشك أيضاً. فهل يبقى بعد هذا تردد في اعتقاد ما يدل عليه كلام الله؟! والله لا يبقى تردد إطلاقاً في أن نعتقد ما دل عليه هذا الكتاب العزيز.

ولهذا نقول: إنما يتأتى التردد حين يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العي، بحيث لا يقصح بما يُريد. وكل هذه العيوب ممتنعة في حق الله فوجب قبول خبره على ما أخبر به. هذا دليل عقلي.

المتن

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بيانا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه.

الشرح

فإذا قال قائلٌ في قوله تعالى "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" [طه:5]، هذا خبرٌ صادرٌ عن الله وهو عالمٌ بذلك، فإذا قال قائلٌ أن معناه "استولى" قلنا: إذا كان هذا معناه أئـ

بدليل. وهذه الكلمة وردت في القرآن في سبعة مواضع ، ليس فيها ولو موضع واحد قال الله فيه: " استولى " فلو كان الله أراد بـ"استوى": "استولى" لكان كلامه غير فصيح؛ إذ أن "استوى" غير "استولى" فإذا أراد بهذا غير ظاهره ؛ ولم يخبر عن مراده هذا ولو في موضع واحد ، - مع أنه ورد في عدة مواضع- ؛ علم أنه لا يريد هذا المعنى ، وتفسيرك "استوى" بمعنى "استولى" يقتضي أن يكون كلامُ الله ناقصًا من حيثُ البيان والفصاحة ، لأن التعبير بهذا عن هذا بدون قرينة وبدون أن يأتي ولو مرة واحدة بهذا المعنى الذي ابتكرته - لاشك أنه خلاف الفصاحة و البيان والله عزوجل- يقول في كتابه "يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ" [النساء: 26] . ولم يقل :ليُعَمِّي عليكم.